Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 41:2 (2006)

تاريخ غزوة بني المصطلق عند المحدثين وأهل السير: دراسة مقارنة

عبد السميع الأنيس

DMHL

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد حفظ الله السنة كما حفظ القرآن إذ هي المبينة له مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ**﴾. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي جزء من سنته فلا شك أنها مشمولة بعموم الحفظ الذي شملها، وذلك بأن هيأ لها رجالاً قاموا بجمعها وتدوينها وتحقيقها وتنقيحها، وكان لكل مؤرخ منهم منهج يتبعه، وطريقة يسير عليها.

وكانت جهود المحدثين وأهل السير محل ثقة المسلمين واعتزازهم، وعن هذه الجهود صدر الناس، ومنها استقوا، ونحن في هذا العصر بنا حاجة للرجوع إلى مناهجهم ودراستها، والوقوف طويلاً عند كل خبر دوّنوه، وكلّ حدث نقلوه، وأن نبعث الدراسة المقارنة من جديد، ونتناول بالبحث العلمي بعض الحوادث التي اختلفوا فيها، لنصل إلى الوجه الصحيح الذي تسانده الأدلة، ويسعفه النظر، وهذا البحث هو لبنة في هذا الطريق عرضت فيه رأيي في حادث من حوادث السيرة ـ بعد أن قارنت بين الأقوال عند المحدثين وأهل السير، وعند المقارنة يظهر خطأ الرأي أو صوابه ـ ألا وهو تاريخ غزوة بني المصطلق، هذا الحدث الذي كثر فيه الاختلاف، وتعددت فيه الأقوال وتشعبت، وهو على جانب من الأهمية إذ إنّ له تأثيراً على ترتيب بعض حوادث السيرة، فالوصول إلى رأي راجح في شأنه يساعد على فهم أدقّ لمجريات حوادث السيرة وتتابعها.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

إنَّ الترتيب المذكور يعطي القارئ والدارس والمحلّل تصوراً واضحاً عن حركة النبيّ صلى الله عليه وسلم في المجتمع، وتخطيطه في الوصول إلى أهدافه، والخطوات التي سلكها لتحقيق ذلك، وهي فائدة أحسبها من الأهمية بمكان عند جمهرة دارسي السيرة. كما يعطي تصوراً واضحاً عن الحوادث التي لها علاقة بتاريخ التشريع في عصر النبوة، ومنها مثلاً: تاريخ نزول آية الحجاب، وقصة الإفك وقد حدثت في غزوة المريسيع كما قال بذلك علماء السيرة، وما رافقها من حوادث، وما نتج عنها من أحكام.

أما عن منهجي في البحث، فقد اتبعتُ فيه المنهجية القائمة على الاستقراء والتحليل والنقد والاستنتاج، وقمت بعرض الآراء المختلفة في تاريخ غزوة بني المصطلق وناقشت الأدلة المتوفرة عنها، ورجّحت ما رأيته راجحاً حسب ما يقتضيه النظر العلمي، مع الرجوع إلى المصادر الأصلية، وتوثيق النصوص لاسيما النبوية منها حسب الطريقة العلمية في ذلك.

هذا وقد استوى البحث على تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: ذكر القائلين بأن غزوة بني المصطلق وقعت في سنة أربع من الهجرة، ومناقشة أدلتهم.

المبحث الثاني: ذكر القائلين بأنها وقعت في سنة خمس من الهجرة، ومناقشة أدلتهم.

المبحث الثالث: ذكر القائلين بأنها وقعت في سنة ستّ من الهجرة.

المبحث الرابع: الترجيح.

ومن الله أستمد العون والتوفيق، فما كان من صواب فمن الله، وأحمده إذ هداني إليه، وما كان من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه، ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، وصلى الله وسلم وبارك على سيدي وقائدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد:

للعلماء في زمن وقوع غزوة بني المصطلق عدة أقوال سأقتصر على أهمها، وهي ثلاثة، وسأجعل كل قول مع قائليه، ومناقشة أدلتهم في مبحث.

المبحث الأول: ذكر القائلين بأن غزوة بني المصطلق وقعت في سنة أربع من الهجرة:

وهو القول الأول، وممن قال بذلك موسى بن عقبة. قال الإمام البخاري في **صحيحه**: باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، وهي غزوة المريسيع.

قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع[1]. لكن الحافظ ابن حجر لم يرتض ذلك، وعلق عليه بقوله: "كذا ذكره البخاري، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، ودليله في ذلك: أن الذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري، والبيهقي في **الدلائل** وغيرهم سنة خمس، ولفظه: عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب "ثم قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني المصطلق، وبني لحيان في شعبان سنة خمس .." [2]. ويبدو لي أن الإمام البخاري يرجّح قول ابن إسحاق، والدليل على ذلك أنه ذكر غزوة بني المصطلق بعد غزوة الأحزاب من حيث الترتيب.

وقد تعرض لترجيح الحافظ ابن حجر المذكور بالنقد عدد من العلماء السابقين والمعاصرين رغم كونه راجحاً وأنقل هنا كلام الأستاذ محمد الصادق العرجون فإنه قال في كتابه: **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**[3]. ما نصه: "ودعوى ابن حجر أن رواية سنة أربع التي حكاها البخاري عن موسى بن عقبة سبق قلم من البخاري دعوى لا دليل عليها، ورد روايات الصحيح بهذه الأوهام لا يصح الاعتماد عليه والاعتداد به، وكيف يمضي البخاري في **صحيحه** على هذا الغلط دون أن يصححه هو أو ينبه عليه أحد من تلاميذه، وقارئي **صحيحه** وشارحيه قبل وجود ابن حجر، وهم عشرات الألوف؟ هذا من أبعد البعد، وقد أشار القسطلاني، وشارح **مواهبه** الزرقاني إلى نقد كلام ابن حجر فقالا: قالوا وكأنه سبق قلم من البخاري أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع سهواً، وهو عجيب .."

١- انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، دار الريان للتراث، القاهرة، ٤٢٨/٧، وتابعه على ذلك المسعودي (ت٣٤٦هـ) في كتابه: **مروج الذهب**، المكتبة العصرية، بيروت، ٥٨٢/١، فإنه قال: وفي سنة أربع: .. كانت غزوته إلى بني المصطلق. لكنه عندما تحدث عن ترتيب الغزوات جعل هذه الغزوة اثنتين، وهي غزوة المريسيع، ورتبها قبل غزوة الخندق. وغزوة بني المصطلق من خزاعة بعد الخندق. وأبو بكر العامري (ت ٨٣٩هـ) في **بهجة المحافل**، مع شرح جمال الدين الأشخر، دار صادر، بيروت، ٢٤١/١، وقال: هذا هو الأصح. وقد أخذ بقول موسى بن عقبة الذي ذكره البخاري في **صحيحه**، ولكن شارح كتابه الشيخ جمال الدين الأشخر عقب عليه بقوله: هذا سبق قلم، والذي في مغازي موسى بن عقبة أنها سنة خمس ومال إلى هذا القول من المعاصرين الأستاذ محمد الصادق العرجون في كتابه: **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار القلم، دمشق، ٢٠٥/٤، حيث قال: فما حكاه البخاري عن موسى بن عقبة من كون غزوة بني المصطلق كانت سنة أربع للهجرة أقرب إلى الاحتمال من قول ابن إسحاق أنها كانت سنة ست.

٢- المصدر السابق، ٤٣٠/٧.

٣- محمد الصادق العرجون، **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ٤٠٦/٤.

وقد أطال الأستاذ المذكور في ذلك، وبالغ في نقد الحافظ ابن حجر من غير دليل، فقوله عن ترجيح الحافظ دعوى لا دليل عليها ينطبق تمام الانطباق على قوله وقد أتى الحافظ بالدليل، وهو قوله: "والذي في مغازي ابن عقبة من عدة طرق رواها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري في **شرف المصطفى**، والبيهقي في **الدلائل**: "أنها كانت سنة خمس"، بينما الرواية التي ذكرها البخاري في **صحيحه** جاءت بلا سند فهي من الحديث المعلق. والحافظ ابن حجر رحمه الله ـ وهو من أعرف المحدثين بالصحيح، ومن أشدهم دفاعاً عنه ـ لم يرد الروايات الصحيحة بالأوهام، بل أشار إلى رواية معلقة ذكرت بغير سند بروايات كثيرة ذكرت بالسند المتصل إلى صاحبها، وقد سبقه إلى هذا عدد من العلماء منهم ابن حزم الأندلسي في **جوامع السيرة النبوية**[٤] وقال: هذا عندنا وهم لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح قريظة بلا شك وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد سنة وثمانية أشهر من موت سعد.

ثم ذكر قول ابن إسحاق وقال: "هذا هو الصحيح، والوهم لم يعر منه أحد من بني آدم إلا من عصمه الله"، وابن عبد البر، في **الدرر في اختصار المغازي والسير**[٥]، والحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري، في **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**[٦]، والحافظ ابن كثير[٧]. والعجيب في هذا أن الأستاذ محمد الصادق العرجون الذي بالغ في انتقاد الحافظ ابن حجر هنا قد انتقد ثلاث روايات في **صحيح البخاري** مما له علاقة بالسيرة[٨].

المبحث الثاني: ذكر القائلين بأنها وقعت في سنة خمس من الهجرة:

القول الثاني: ذهب عدد من العلماء إلى أن غزوة بني المصطلق وقعت في سنة خمس من الهجرة، وممن قال بذلك الإمام عروة بن الزبير، وقتادة كما في **دلائل النبوة** للبيهقي[٩] والإمام الزهري، فقد نقل موسى بن عقبة عنه أنه قال: هذه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل

٤- ابن حزم: **جوامع السيرة النبوية**، دار ابن كثير، دمشق، ص ١٦٣.

٥- ابن عبد البر: **الدرر في اختصار المغازي والسير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٢٠.

٦- ابن سيد الناس اليعمري: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تحقيق محمد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ص ص ١٤٦.

٧- ابن كثير: **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ١٥٦/٤.

٨- وذلك في كتابه **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، انظرها في ٤٢٠/٣ و ٧٠/٤-٧٢ و ٣٧٢/٤.

٩- البيهقي: **دلائل النبوة**، تحقيق قلعه جي، دار الكتب العلمية، ٤٥/٤، وانظر: **فتح الباري**، ٤٣٠/٧.

فيها: "يوم رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس ...". وفي نص الزهري دلالة صريحة على أن غزوة بني المصطلق كانت بعد غزوة الأحزاب من حيث الترتيب بغض النظر عن زمن الوقوع، في حين أن جميع القائلين بأنها وقعت سنة خمس جعلوا ترتيبها قبل غزوة الأحزاب.

وستأتي مناقشة ذلك في المبحث الرابع: الترجيح.

وقال ابن كثير: "إن البخاري رواه عن مغازي موسى بن عقبة أنها سنة أربع، والذي حكاه موسى بن عقبة عن الزهري وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس"(١٠).

وممن قال بذلك أيضاً من مؤرخي السيرة: الواقدي (ت٢٠٧هـ) وذكرها قبل غزوة الأحزاب من حيث الترتيب(١١)، وتابعه على ذلك ابن سعد (ت ٢٣١هـ) (١٢)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) (١٣)، والبلاذري (ت٢٧٩هـ) (١٤)، وابن حبان (ت ٣٥٤هـ) (١٥)، والدمياطي (ت ٧٠٥هـ) (١٦)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ) (١٧)، وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) (١٨)، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) (١٩).

١٠- انظر: **البداية والنهاية**، ١٥٦/٤.

١١- الواقدي: **المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ٤٠٤/١.

١٢- ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ٦٣/٢.

١٣- ابن قتيبة: **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة، ص ٨٠.

١٤- البلاذري: **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، ٣٤١/١.

١٥- ابن حبان: **قصة السيرة النبوية**، دار الإيمان، دمشق، ص ١٦٢.

١٦- الدمياطي: **السيرة النبوية**، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الصابوني، حلب، ص ٢٠٠.

١٧- الذهبي: **تاريخ الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، قسم المغازي، ص ٣٤٩. وقال: على الصحيح بل المجزوم به.

١٨- ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٥٦/٣.

١٩- **فتح الباري**، ٤٣٠/٧. وقد ذهب إلى ذلك عدد من كتاب السيرة المعاصرين، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ محمد الخضري في كتابه **نور اليقين**، دار الفكر، عمان، ص ١٤٣، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا في **الفتح الرباني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١١٩/١٤، والشيخ محمد أبو شهبة في **السيرة المحمدية في ضوء القرآن والسنّة**، دار القلم، دمشق، ٢٥٢/٢، والشيخ محمد أبو زهرة في **خاتم النبيين** =

ودليلهم في ذلك: ما جاء في حديث الإفك[٢٠] الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وفيه: "... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه ...".

وجه الدلالة: قالوا: قد ذكر سعد بن معاذ في حادثة الإفك وهي قد وقعت في غزوة المريسيع فهذا يدلّ على أنه كان موجوداً فيها، علماً بأنه قد استشهد في غزوة بني قريظة عقب الخندق مباشرة، فلا يمكن أن تكون غزوة بني المصطلق إلا قبل الخندق.

وأجيب بعدة أجوبة[٢١]: أولاً: بأن رواية من روى أن سعد بن معاذ راجَعَ في قصة الإفك سعد بن عبادة وهم وخطأ، وإنما راجع سعد بن عبادة أسيد بن خضير[٢٢] كما ذكره ابن إسحاق، وهو

= **صلى الله عليه وسلم**، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٩٦٩، والشيخ محمد الغزالي في **فقه السيرة**، دار الدعوة، القاهرة، ص ٣٢٦، والشيخ الصابوني في **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام**، دار القرآن الكريم، الكويت، ١١٩/٢، و محمد سعيد البوطي في **فقه السيرة**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص ٢٠٢، و مهدي رزق الله في **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، طبعة الأمير فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص ٢٣٢، ومحمود شيث خطاب في **الرسول القائد**، دار الفكر، بيروت، ص ٢١٣، و أكرم العمري في **السيرة النبوية الصحيحة**، طبعة السعودية، ٤٠٦/٢، وقال: وهذا هو الراجح وهو قول موسى بن عقبة الصحيح حكاه عن الزهري وعن عروة، وتابعه أبو معشر السندي، والواقدي وابن سعد، وإبراهيم قريبي في كتابه **مرويات غزوة بني المصطلق**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص ١٠٠.

٢٠- رواه البخاري في **صحيحه** برقم ٤٧٥٠، دار الريان للتراث، القاهرة. وانظر: **فتح الباري**، ٤٧٢/٨ و مسلم في **صحيحه** برقم ٢٧٧٠، دار ابن حزم، دار المغني.

٢١- انظر: **فتح الباري**، ٤٧٢/٨.

٢٢- والناظر في ترجمة هذا الصحابي الجليل يجد أنه كان من رؤساء الأوس من الأنصار فغير بعيد أن يكون هو المتكلم بلسانهم بعد وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه، وإليك ما قيل عنه: أسيد بن خضير من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان أبوه فارس الأوس ورئيسهم، قالت السيدة عائشة: "ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن خضير، وعباد بن بشر، وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار على أسيد بن خضير. وكان أحد العقلاء الكملة من أهل الرأي". انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، المطبوع على هامش **الإصابة** لابن حجر، طبعة السعادة، ١٣٢٨هـ، ١٨/١، وابن حجر: **الإصابة**، طبعة السعادة، ١٣٢٨هـ، ٨/١.

الصحيح فإن سعد بن معاذ مات في منصرفهم من غزوة بني قريظة لا يختلفون في ذلك فلم يدرك المريسيع ولا حضرها". وممن نبه على ذلك من الأعلام القاضي عياض نقلاً عن بعض شيوخه، مع إقراره له، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن العربي، والقرطبي وغيرهم.

ثانياً: قالوا: بأن المذكور في الرواية ليس هو سعد بن معاذ وإنما هو سعد أخو بني عبد الأشهل كما جاء في بعض روايات الحديث(٢٣)، فيحتمل أن يكون آخر غير سعد بن معاذ فإن في بني عبد الأشهل جماعة من الصحابة يسمى كل منهم سعداً، منهم الذين بيعوا بنجد، وله ذكر في عدة أخبار منها في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في مرض وفاته، فيحتمل أن يكون هو المتكلم في قصة الإفك. وممن قال بذلك القطب الحلبي(٢٤).

ثالثاً: قال البيهقي: كما في **فتح الباري**(٢٥) ـ يجوز أن يكون جرح سعد بن معاذ لم ينفجر عقب الفراغ من بني قريظة بل تأخر زماناً، ثم انفجر بعد ذلك، وتكون مراجعته في قصة الإفك في أثناء ذلك، ولعله لم يشهد غزوة المريسيع لمرضه، وليس ذلك مانعاً له أن يجيب النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصة الإفك ما أجابه.

قلت: وهذا احتمال بعيد إذ لا يمكن أن يتأخر انفجار الجرح عشرة أشهر، لأن غزوة بني قريظة وقعت في السنة الخامسة الهجرية عند جمهور علماء السيرة على خلاف بينهم في الشهر فذهب الأكثر إلى أنها في شهر شوال، وذهب البعض إلى أنها في شهر ذي القعدة، وسيأتي تفصيل ذلك.

المبحث الثالث: ذكر القائلين بأنها وقعت في سنة ست من الهجرة:

كما ذهب عدد من المحدثين والمؤرخين إلى أن غزوة بني المصطلق وقعت في سنة ست من الهجرة. وهو القول الثالث، صرح بذلك ابن إسحاق (١٥٢هـ)(٢٦)، وتبعه على ذلك خليفة بن

٢٣- انظر: **صحيح البخاري** برقم ٤١٤١ كتاب المغازي، باب حديث الإفك وقد أشار إلى هذه الرواية الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**، ٤٧١/٨، عندما قال: "ووقع في رواية صالح بن كيسان: فقام سعد أخو بني عبد الأشهل" وفي رواية فليح "فقام سعد" ولم ينسبه.

٢٤- **فتح الباري**، ٤٧٢/٨، والقطب الحلبي: وهو الإمام الحافظ قطب الدين عبد الكريم الحلبي ثم المصري (ت٧٣٥هـ)، انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٥٠٢/٤.

٢٥- **فتح الباري**، ٤٧٢/٨.

٢٦- ذكره الإمام البخاري في **صحيحه**، انظر: **فتح الباري**، ٤٢٨/٧ **وسيرة ابن هشام**، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، دار الخير، دمشق، ٢٢٧/٣.

خياط (٢٤٠هـ)[٢٧]، ومحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)[٢٨]، والبيهقي (٤٥٨هـ)[٢٩]، وابن حزم (٤٥٦هـ)[٣٠]، وابن عبد البر (٤٦٣هـ) [٣١]، وقال: "وهو الصواب إن شاء الله". والقاضي عياض (٥٤٤هـ)، وابن العربي المالكي (٥٤٣هـ)[٣٢]، والكلاعي (٦٣٤هـ)[٣٣]، وابن الأثير (٦٣٦هـ)[٣٤]، والقرطبي[٣٥]، وابن سيد الناس (٧٣٤هـ)[٣٦]، وابن كثير (٧٧٤هـ)[٣٧]، وابن خلدون (٨٠٨هـ)[٣٨]، وابن حجر[٣٩].

٢٧- انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ٤٢٨/٧.

٢٨- نسب الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**، ٤٣٠/٧ إلى الطبري أنه قال: في سنة ست بينما قال في ٤٧٢/٨: وممن جزم بأن المريسيع سنة خمس الطبري. وفي هذا الجزم نظر. وعند مراجعتي لتاريخ الطبري تبين لي ما يأتي: قال رحمه الله، ٦١٤/٢، واختلف في وقت غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق .. فقال ابن إسحاق: .. في شعبان سنة ست من الهجرة، وقال الواقدي: .. في شعبان سنة خمس، وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خزاعة .." وعليه فإن الطبري لم يجزم بأن المريسيع كانت سنة خمس بل ذكر الخلاف لكنه يرجّح قول ابن إسحاق بدليل: (١) أنه سار على قوله في ترتيب الغزوات، وقد ذكرها في أحداث السنة السادسة. (٢) صدر قول الواقدي بقوله: وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع، وقوله: "زعم" مشعر بالتضعيف.

٢٩- البيهقي: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، ٤٤/٤.

٣٠- ابن حزم: **جوامع السيرة النبوية**، ص ١٨٥.

٣١- ابن عبد البر: **الدرر في اختصار المغازي والسير**، ص ٢٢٠.

٣٢- **فتح الباري**، ٤٧٢/٨.

٣٣- الكلاعي: **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٦١/٢.

٣٤- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٢/١.

٣٥- **فتح الباري**، ٤٧٢/٨.

٣٦- ابن سيد الناس اليعمري: **عيون الأثر**، ص ١٣٤.

٣٧- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٥٦/٤، وقال في كتابه: **الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دار ابن كثير، بيروت، ص ١٨٤: "وهو الأصح" وبعد أن نقل كلام ابن حزم قال: وهو كما قال إن شاء الله.

٣٨- **تاريخ ابن خلدون**، ٤٣١/٢، ومن المعاصرين: المباركفوري في **الرحيق المختوم**، دار الكتاب والسنة، باكستان، ص ٤٣٥، والشيخ محمد أبو زهرة في **خاتم النبيين**، ص ٩٦٩، رغم كونه يميل إلى أنها حدثت في السنة الخامسة لكنه مشى على نسق ابن إسحاق. وأبو بكر الجزائري في "**هذا الحبيب**"، مكتبة السنة، دمنهور، ص ٣٢٩، ومحمد حسين هيكل في **حياة محمد صلى الله عليه وسلم**، مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٥٢، وعبد الحفيظ القرني في **هدي السيرة النبوية**، دار الفكر العربي، ص ١٧٢، والشيخ جعفر السبحاني من الإمامية في "**سيد المرسلين**"، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ص ٣٠٣.

٣٩- **فتح الباري**، ٤٦٢/٨-٤٦٣.

ويشار إلى أن الإمام البخاري والبيهقي قد ذكرا الأقوال والخلاف فيها، ولم يصرحا بالترجيح، ولكن ترتيبهما للغزوات وذكرهما غزوة بني المصطلق بعد غزوة الخندق مشعر بالترجيح المذكور.

المبحث الرابع: الترجيح:

بعد هذا العرض للأقوال التي قيلت في تاريخ حدوث غزوة بني المصطلق أرى استبعاد القول الأول لضعفه، وقد نبه الحفاظ على أنه وهم، وعليه فقد انحصر الخلاف في قولين:

القول الأول: أنها حدثت في السنة الخامسة، وقال به الواقدي ومن تبعه.

القول الثاني: أنها حدثت في السنة السادسة، وقال به: ابن إسحاق، ومن تبعه.

وإذا كان الأمر كذلك فما هو يا تُرى ثمرة الخلاف في هذه القضية؟ وهل لذلك تأثير في مجرى الأحداث التي وقعت في عصر النبوة؟ والجواب على ذلك: أن الخلاف في تاريخ هذه الغزوة كان له أثر في ترتيب الغزوات النبوية، وذلك لأن القائلين بأنها حدثت في السنة الخامسة يلزمهم القول بوقوعها قبل غزوتي الخندق وقريظة ولهذا رتبوها على هذا النسق، بينما القائلون بأنها وقعت في السنة السادسة رتبوها بعد غزوتي الخندق وقريظة. ولا شك أن هذا الخلاف أحدث ارتباكاً في ترتيب الغزوات النبوية كما أحدث ارتباكاً في الحوادث التي لها علاقة بتاريخ التشريع في عصر النبوة ومنها مثلاً: تاريخ فرض الحجاب.

وإذا علمنا بأن الغزوات النبوية هي وحدة متكاملة كانت تنفذ بدقة من قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم، ضمن خطة شاملة للوصول إلى الهدف المنشود، اتضح لنا أهمية هذا البحث كنموذج في تقديم صورة صحيحة للغزوات مرتبة ترتيباً مدعماً بالأدلة لتكون في متناول المختصين ليستفيدوا منها في الدراسة والتحليل. وإذا كان الأمر كذلك كان لا بد لنا من دراسة هذه القضية دراسة مقارنة، تجمع فيها كل الأقوال التي قيلت فيها، ثم مناقشتها للوصول إلى الترجيح المدعم بالأدلة من خلال دراسة تحليلية داخلية للأحداث التي وقعت في هذه الغزوة، وغيرها. وهكذا يقال في كل غزوة اشتد النزاع حول تاريخها لنصل بعد ذلك إلى الهدف المنشود.

هذا وقد تبين لي من خلال دراستي لهذه القضية أن الراجح في تاريخ هذه الغزوة أنها حدثت في شهر شعبان من السنة السادسة الهجرية، ولي على ذلك عدة أدلة وهي:

أولاً: ما جاء في نصوص عدد من أئمة السلف المختصين بتاريخ المغازي النبوية من أنها حدثت بعد غزوتي الأحزاب وبني قريظة ومنها: ما جاء عن الزهري قال: هذه مغازي رسول الله صلى الله

عليه وسلم التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان السنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ..." (٤٠).

وجه الدلالة: أن الإمام الزهري رحمه الله قد ذكر غزوتي بني المصطلق وبني لحيان بعد الأحزاب مما يدل على أنها وقعت بعدها. والغريب أن القائلين بأنها وقعت في السنة الخامسة استدلوا على قولهم المذكور بنص الزهري، فأخذوا بالتاريخ ـ وهو عرضة للاختلافات ـ وأهملوا الترتيب وهو العمدة في هذا الباب إذ يصور الحوادث كما وقعت. فنشأ عن ذلك تناقص ملحوظ سنأتي على ذكره. ومما ينبغي ذكره هنا، أن الإمام الزهري رحمه الله لم ينفرد بهذا الترتيب بل جاء عن عدد من أئمة السلف، ومنهم على سبيل المثال:

١- عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وقاتل في ثمان منهن(٤١) "يوم بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقديد، وخيبر، ومكة، وحنين"(٤٢).

٢- وعن قتادة أن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون، أربع وعشرون سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسع عشرة غزوة خرج فيها، يلقى ثمان بنفسه: بدراً، وأحداً، والأحزاب، والمريسيع، وقديداً، وخيبر، وفتح مكة، وحنيناً(٤٣).

٣- وعن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمانية عشر غزوة، قاتل في ثمان غزوات، أولهن: بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف(٤٤).

والآن نرجع إلى التاريخ المذكور في نص الإمام الزهري رحمه الله. فالدارس لنص الزهري يجد أنه أرخ حدوث غزوة الأحزاب في شوال سنة أربع، وهذا وهم نبه عليه

٤٠- أخرجه أبو عوانة في **مسنده** برقم ٦٩٦٨ تحقيق أيمن بن عارف، دار المعرفة، بيروت، وانظر: **البداية والنهاية**، ٢٤٢/٢.

٤١- رواه مسلم في **صحيحه** برقم ٩٢٥٤، ١٤٦.

٤٢- انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ٢٤٢/٣.

٤٣- رواه أبو عوانة في **مسنده**، ٣٦٤/٤ برقم ٦٩٦٦، والحاكم في **معرفة علوم الحديث**، تحقيق معظم حسين، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص ٢٣٩، وذكره ابن كثير في **البداية والنهاية**، ٢٤٢/٣.

٤٤- **البداية والنهاية**: ٢٤٢/٣.

الحفاظ، وهو خلاف ما ذهب إليه علماء السيرة من أنها وقعت سنة خمس وأنقل هنا ما حققه الحافظ ابن حجر فإنه خلاصة ما قيل في هذه القضية، قال رحمه الله: "وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي، ومال المصنف ـ يعني البخاري ـ إلى قول موسى بن عقبة وقواه بما أخرجه أول أحاديث الباب من قول ابن عمر أنه عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة...". فيكون بينهما سنة واحدة، وغزوة أحد كانت سنة ثلاث، فيكون الخندق سنة أربع ولا حجة فيه: إذ ثبت أنها كانت سنة خمس لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان في أول ما طعن في الرابعة عشر، وكان في الأحزاب قد استكمل الخمس عشرة، وبهذا أجاب البيهقي.

ويؤيد قول ابن إسحاق: أن أبا سفيان قال للمسلمين لما رجع من أحد: موعدكم العام المقبل ببدر فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من السنة المقبلة إلى بدر، فتأخر مجيء أبي سفيان تلك السنة للجدب الذي كان حينئذ، وقال لقومه: إنما يصلح الغزو في سنة الخصب .." (٤٥).

من خلال ما تقدم نجد أن المعتمد عند علماء المغازي أن غزوة الأحزاب كانت في شوال سنة خمس من الهجرة، وبناء على ذلك نحن أمام مشكلة جديدة، وهي تارخ غزوة بني المصطلق التي وقعت في شعبان من سنة خمس حسب نص الزهري. فإذا قلنا بالترتيب المذكور في النص وقع تناقض لأن شوال من سنة خمس يقع بعد شعبان من سنة خمس، وهذا يعني أن غزوة بني المصطلق حدثت قبل غزوة الأحزاب بينما رتبت في نص الزهري بعد غزوة الأحزاب. ويبدو لي أن أمام هذا التناقض وقف العلماء موقفين: كما رأيت منهم من اجتهد بالترتيب فقدم غزوة بني المصطلق على غزوة الأحزاب هروباً من التناقص، وهم الواقدي ومن تبعه. ومنهم من اجتهد بالتاريخ فجزم بأن غزوة بني المصطلق كانت في سنة ست من الهجرة، وهم ابن إسحاق ومن تبعه، وكان الصواب مع الذين اجتهدوا بالتاريخ لعدة أسباب أهمها.

أولاً: نص الزهري وفيه ترتيب غزوة بني المصطلق بعد الأحزاب، وابن إسحاق من تلاميذ الزهري، فالاعتماد على اجتهاده في تفسير الحوادث أفضل من الاعتماد على اجتهاد غيره ممن جاء بعده. وثانياً: أن التاريخ عرضة للخطأ أكثر من الترتيب، والدليل على ذلك: أن الحفاظ قد صححوا

٤٥- **فتح الباري**: ٧٩٣/٧.

تاريخ غزوة الأحزاب في نص الزهري نفسه كما سبق بيانه ليتفق مع قول الجمهور،[٤٦] فكان عليهم بناءً على هذه الخطوة أن يصححوا تاريخ غزوة بني المصطلق أيضاً هروباً من التناقض، وبذلك تستقيم الأحداث ويكون ترتيب الغزوات بمنأى عن هذا التناقض الذي أربك الدارسين وسلم منه ابن إسحاق ومن تابعه.

ثانياً: من المعلوم أن حادثة الإفك وقعت في غزوة بني المصطلق، وهذا ما عليه جمهور علماء السيرة. قال الإمام البخاري في **صحيحه**: "وقال النعمان بن راشد عن الزهري: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع"[٤٧]. ونقرأ في حديث الإفك قول السيدة عائشة رضي الله عنها: "... فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب .." [٤٨]. وفي رواية الواقدي: "وكانت هذه الغزوة بعد أن ضرب الحجاب .." [٤٩]. وفيه أيضاً: أنه صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن عائشة فقال لها: يا زينب ماذا علمت على عائشة؟ قالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً[٥٠].

٤٦- وقد قال جمهور علماء السيرة بأن غزوة الأحزاب وقعت سنة خمس إلا أنهم اختلفوا في الشهر الذي وقعت فيه على قولين: **الأول**: في شهر ذي القعدة، وممن قال بذلك: الواقدي في **المغازي**، ٤٤٠/٢، وابن سعد في **الطبقات الكبرى**، ٦٥/٣، وابن الجوزي في **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ٢٢٧/٣. **الثاني**: أنها وقعت في شوال، وممن قال بذلك: ابن إسحاق وابن هشام كما في **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، دار الخير، دمشق، ١٦٥/٣، والطبري في **تاريخه**، دار المعارف، مصر، ٩٠/٢، وابن الأثير في **الكامل**، ٧٠/٢، وابن سيد الناس اليعمري في **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ٨٤/٢، وابن قيم الجوزية في **زاد المعاد**، ٢٦٩/٣، وابن كثير في **البداية والنهاية**، ٩٣/٤، وقال: "نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير، وقتادة، والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً، وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع وكذلك قال مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه. قال البيهقي ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين، وقبل استكمال خمس ثم أتى بالأدلة على ذلك".

٤٧- **فتح الباري**، ٤٣٠/٧.

٤٨- **صحيح البخاري** برقم ٤١٤١.

٤٩- **مغازي الواقدي**، ٤٢٧/١.

٥٠- **صحيح البخاري** برقم ٤١٤١، **ومغازي الواقدي**، ٤٣٠/٢.

فهذه النصوص تؤكد وجود زينب في هذه الحادثة، وزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم منها كان بعد غزوتي الأحزاب وقريظة[٥١]، وقد تقدم أن الجمهور من علماء السيرة على أنها وقعت في ذي القعدة من سنة خمس من الهجرة. والقائلون بأن غزوة بني المصطلق كانت في سنة خمس وقعوا في إشكال كبير حيث أورثهم هذا الترجيح تعارضاً بين ما رجحوه وبين هذا النص الصحيح بل النصوص المروية في الصحيحين. بينما لا نجد هذا الإشكال عند المتقدمين ممن قال بأن غزوة بني المصطلق كانت سنة ست.

بل إن ابن سعد نفسه قد ذكر في **الطبقات** أن زواجه صلى الله عليه وسلم منها كان لهلال ذي القعدة من العام الخامس[٥٢] والعجيب: أن الواقدي ومن تبعه كابن سعد قد ذكروا حادثة الإفك في حوادث غزوة المريسيع وفيها هذه النصوص عن ضرب الحجاب وهي تدل على أنها وقعت بعد غزوة الخندق، ولم ينتبهوا لهذا التناقض الذي وقعوا فيه.

وقد نبه الحافظ ابن حجر إلى تناقض الواقدي في هذه القضية فعندما ذكر قول السيدة عائشة في حادثة الإفك عن صفوان بن المعطل: "وكان يراني قبل الحجاب" قال ما نصه[٥٣]: أي قبل نزول آية الحجاب .. وهذا مما تناقض فيه الواقدي، فإنه ذكر أن المريسيع كان في شعبان سنة خمس، وأن الخندق كانت في شوال منها، وأن الحجاب كان في ذي القعدة منها مع روايته حديث عائشة هذا، وتصريحها فيه بأن قصة الإفك التي وقعت في المريسيع كانت بعد الحجاب، وسلم من هذا ابن إسحاق فإن المريسيع عنده في شعبان لكن سنة ست. وسلم الواقدي من التناقض في قصة سعد بن معاذ ..، ثم أضاف قائلاً: نعم، وسلم منه ابن إسحاق فإنه لم يذكر سعد بن معاذ في القصة أصلاً.

ومما يؤيد صحة ما وقع في هذا الحديث، أن الحجاب كان قبل قصة الإفك، قول عائشة أيضاً في هذا الحديث: "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عنها، فكل ذلك دال على أن زينب كانت حيئنذ زوجته، ولا خلاف أن آية الحجاب نزلت حين دخوله صلى الله عليه وسلم بها فثبت أن الحجاب كان قبل قصة الإفك".

٥١- قال البيهقي وقال ابن كثير: وهو الأشهر، وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ، **البداية والنهاية**: ٤/١٤٥.

٥٢- **الطبقات**: ٣/١١١.

٥٣- **فتح الباري**: ٨/٤٦٢-٤٦٣.

ثالثاً: ما جاء في **الصحيحين**[٥٤] من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه" ومعنى فأجازه: أي أمضاه، وأذن له في القتال.

وجه الدلالة: قالوا: يدل هذا الحديث على أن ابن عمر لم يقاتل إلا في غزوة الخندق، بينما ذكر أنه كان معهم في غزوة بني المصطلق على ذلك ما جاء في **صحيح البخاري** من طريق ابن عون قال: كتبت إلى نافع، فكتب إليَّ: إن النبيّ صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق، وهم غارُّون، وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية. حدثني به عبد الله بن عمر، وكان في ذلك الجيش[٥٥].

قال الحافظ ابن حجر: فإذا كان أول مشاهده الخندق، وقد ثبت أنه شهد المريسيع لزم أن تكون المريسيع بعد الخندق؟ وأجيب: بأنه لا يلزم من كون ابن عمر كان معهم في غزوة بني المصطلق أن يكون أجيز في القتال، فقد يكون صحب أباه، ولم يباشر القتال، كما ثبت عن جابر أنه كان يمنح الماء لأصحابه يوم بدر، وهو لم يشهد بدراً باتفاق[٥٦].

قلت: لكن هذا الذي أجاب به الحافظ رحمه الله يصح لو استند إلى دليل على ذلك، ولم نجد، أما حديث جابر فهو قياس مع الفارق، إذ ثبت أنه كان يمنح الماء، وعليه فقد سلم الدليل من المعارض، بل إن في الحديث ما يشعر أنه كان من المقاتلين بقرينة: وكان في ذلك الجيش. وسواء قلنا هذا أو ذاك فقد ثبت من الحديث المذكور أن المريسيع كانت بعد الخندق، وهو محل الشاهد في الحديث المذكور أعلاه.

٥٤- **صحيح البخاري** برقم ٢٦٦٤، **وصحيح مسلم** برقم ١٨٦٨ وفي الحديث إشكال، قال الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**، ٢٧٨/٥: "قال ابن سعد: قال يزيد بن هارون، ينبغي أن يكون في الخندق ابن ست عشرة سنة" وهذا بناء على ما هو الراجح عند جمهور علماء السيرة من أن غزوة الخندق كانت سنة خمس من الهجرة، ومن هنا فإن البخاري جنح إلى قول موسى بن عقبة في **المغازي**: أن الخندق كان سنة أربع، وهو قول مرجوح عند العلماء: "وقد أجاب الإمام البيهقي عن الإشكال عندما قال: قول ابن عمر: عرضت يوم أحد، وأنا ابن أربع عشرة" أي دخلت فيها، وأن قوله "عرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة" أي تجاوزتها، فألغى الكسر في الأولى، وجبره في الثانية، وهو شائع مسموع في كلامهم.

٥٥- **صحيح البخاري** برقم ٢٥٤١ **وصحيح مسلم** برقم ١٧٣.

٥٦- **فتح الباري**، ٤٧١/٨.

هذا وقد استشكل بعض العلماء هذا الحديث بحجة أنه كيف أغار عليهم، وهم غارُّون ـ أي غافلون ـ دون إنذار مسبق؟ والواقع أنه لا مكان لهذا الإشكال، إذا علمنا بأن هذه الغزوة كانت رداً على الاعتداء الذي وقع من بني المصطلق يوم أحد حيث ساندوا جيش مشركي مكة آنذاك.

رابعاً: من المعلوم أن بني المصطلق بطن من بطون قبيلة خزاعة، ومنازل خزاعة وديارهم منتشرة على الطريق من المدينة إلى مكة، وكانوا يسكنون قديداً وعسفان، فقديد تبعد عن قلة ١٢٠ كيلاً، وعسفان تبعد ٨٠ كيلاً وهذا يعني أن ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز إلى حدود مكة، فهم أقرب إليها من المدينة(٥٧).

وكان من خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يتوغل في البلاد القريبة من قريش العدو الأكبر للمسلمين آنذاك، ولكن لما وهنت عزائم الأحزاب رأى أن الوقت قد حان ليأخذ الثأر من بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً يوم أحد. يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم"(٥٨). وهذا دليل يضاف إلى الأدلة السابقة في أن غزوة المريسيع كانت بعد غزوة الخندق، وإلا فإن الظروف قبل غزوة الخندق لم تكن تسمح بهذه المغامرة.

خامساً: ويؤيد ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بعد غزوتي الخندق وقريظة بمعاقبة بني لحيان، رداً على جريمتهم النكراء، وغدرهم بالقراء في "غزوة الرجيع" سنة أربع من الهجرة. والقراء، هم: وفد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني لحيان لتعليمهم بناء على طلبهم، فغدروا بهم، وقتلوهم، ومع ذلك لم يثأر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم إلا في السنة السادسة من الهجرة، بعد أن وهنت عزائم الأحزاب(٥٩).

فغزوة بني لحيان تشبه إلى حد بعيد غزوة بني المصطلق في الأسباب والتوقيت، ومن هنا جاء اقترانهما في نص الإمام الزهري رحمه الله.

سادساً: من الملاحظ في هذه الغزوة أنه قد خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم جمع كبير من المنافقين، لم يخرج مثله في غزاة مثلها قط، ليس بهم رغبة في جهاد إلا أن يصيبوا من عرض

٥٧- أكرم العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، ٤٠٤/٢.

٥٨- رواه البخاري في **صحيحه** برقم ٤١١٠ ومسلم في **صحيحه** برقم ١٧٤٢.

٥٩- انظر: مهدي رزق الله، **السيرة النبوية في مصادرها الأصلية**، ص ٤٦٨.

الدنيا[٦٠]. وهذا يدل على أن غزوة بني المصطلق كانت بعد غزوتي الأحزاب وقريظة، إذ إن حال المسلمين قبل غزوة الأحزاب لم يكن مشجعاً لكي يغامر المنافقون بهذا الجمع الكبير طمعاً بالغنيمة.

سابعاً: كانت غزوة بني المصطلق تمهيداً لما حدث في صلح الحديبية، وهي خطوة من أهم الخطوات التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول إلى هذا الهدف[٦١].

وقد مر معنا أن منازل هؤلاء بين المدينة ومكة، بل هم إلى مكة أقرب، فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحركة العسكرية أن يؤمن الطريق إلى مكة، ولولا هذه الخطة لما استطاع الوصول إلى مكة، إذ إنه عندئذ سيكون بين عدوين: قريش من أمامه، وبني المصطلق من خزاعة من ورائه، وهو أمر لا يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقع فيه، والظروف قبل غزوة الأحزاب لم تكن مهيَّأة للقيام بمثل هذه الخطوة. وعليه فهذا دليل يضاف إلى الأدلة السابقة في أن غزوة المريسيع كانت بعد غزوة الأحزاب.

ثامناً: ذكرت كتب السيرة[٦٢] أن قائد بني المصطلق وسيدها الحارث بن أبي ضرار قد أسلم هو وقومه، وولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه.

يدل على ذلك ما جاء في **مسند أحمد**[٦٣] عن الحارث قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به ..".

وحديث الحارث هذا قال عنه الهيثمي في **مجمع الزوائد**: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات[٦٤].

وقال عنه السيوطي في **الدر المنثور**[٦٥]: "أخرج أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد ...".

٦٠- **مغازي الواقدي**، ٤٠٥/١.

٦١- ينظر في ذلك مبحث "الخطوات التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلح الحديبية" من كتابي **دراسة تحليلية لآيات قرآنية** يسر الله نشره.

٦٢- وقصة إسلام الحارث أوردها ابن إسحاق في **المغازي**، ونقلها عنه ابن عبد البر في **الاستيعاب**، ٢٩٩/١، وابن الأثير في **أسد الغابة**، مطبعة الشعب، ١٣٩٠هـ، ٤٠٠/١، وابن حجر في **الإصابة**، ٢٨١/١.

٦٣- **مسند أحمد** برقم ١٨٤٥٩.

٦٤- الهيثمي: **مجمع الزوائد**، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٠٨/٧.

٦٥- السيوطي: **الدر المنثور**، دار المعرفة، بيروت، ٨٧/٦.

بينما قال عنه الحافظ ابن حجر في **الإصابة**[٦٦]: ورواه ابن أبي حاتم والطبراني، وفي السند من لا يعرف.

قلت: ومدار الحديث هذا على دينار مولى عمرو بن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي. فقد قال عنه الإمام علي بن المديني في معرض حديثه عن عيسى بن دينار: عيسى معروف ولا نعرف أباه. ويبدو لي أن الحافظ ابن حجر استند في قوله المذكور آنفاً على قول علي بن المديني. ودينار هذا ذكره ابن حبان في كتابه **الثقات**، وقال عنه الحافظ ابن حجر نفسه في كتابه **التقريب**[٦٧] بأنه مقبول. وعليه فالذي أراه: أن الحديث حسن بشواهده[٦٨].

وجه الدلالة:

أن الحارث قد أسلم هو وقومه، فلو افترضنا أن غزوة بني المصطلق كانت قبل الأحزاب لكان لهم ذكر في هذه المعركة، ولم نجد له ولا لقومه ـ بني المصطلق ـ ذكراً في معركة الأحزاب، لاسيما أن قريشاً ومن حالفها يمرون من ديارهم وهم سائرون إلى المدينة، مما يدل على أن غزوة بني المصطلق كانت بعد غزوتي الخندق وقريظة.

قال ابن حزم: "ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بأزيد من عامين، الوليد بن عقبة لقبض صدقاتهم ..". ومن المعلوم أن الوليد بن عقبة أسلم عام الفتح، فلو قلنا بأن غزوة المريسيع كانت قبل الأحزاب، وأن الحارث ـ سيد بني المصطلق ـ قد أسلم بعد غزوة المريسيع ، وولاه الرسول صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه، لما صح أن الوليد بن عقبة قد أرسل إليهم إذ يكون قد مضى على إسلامهم أربع سنوات تقريباً، والوليد لم يكن في حينها قد أسلم، وعندها سنقع بتناقض كبير، مما يدل على أن غزوة بني المصطلق وقعت في سنة ست من الهجرة[٦٩].

٦٦- ابن حجر: **الإصابة**، ٣٢٣/٣.

٦٧- ابن حجر: **التقريب**، رقم الترجمة: ١٨٣٨.

٦٨- وبذلك حكم الشيخ شعيب وزملاؤه على هذا الحديث في تعليقهم على **المسند** لكنهم قالوا: "هو حسن بشواهده دون قصة إسلام الحارث بن ضرار ...". قلت: وقصة إسلام الحارث أوردها ابن إسحاق في **المغازي** ونقلها عنه ابن عبد البر في **الاستيعاب**، ٢٩٩/١، وابن الأثير في **أسد الغابة**، ٤٠٠/١، وابن حجر في **الإصابة**، ٢٨١/١.

٦٩- ابن حزم: **جوامع السيرة النبوية**، ص ١٦٣، و **تاريخ ابن خلدون**، ٣٣/٢.

وبعد: فهذه جملة من الأدلة تثبت أن غزوة بني المصطلق كانت في سنة ست من الهجرة، ولا شك أن هذه القضية شائكة والخلاف فيها شديد، وهو قديم، ويبدو لي أنه هو الذي دفع مؤرخين كبيرين هما: المسعودي في كتابه **مروج الذهب**[٧٠]، وابن حبان في **الثقات**[٧١] إلى جعلهما غزوتين هما: غزوة المريسيع وقد وقعت في شهر شعبان سنة خمس من الهجرة، قبل غزوة الخندق. وغزوة بني المصطلق وقد وقعت في سنة ست من الهجرة بعد الخندق.

وهو تفريق لا دليل عليه، بل إن القارئ لأقوال ابن حبان يشعر بشيء من التناقض، إذ إنه يصرح في كلتا الغزوتين بأن جويرية بنت الحارث وقعت في الأسر، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد ذلك! وهذا شيء غير معقول إذ كيف يتزوجها في سنة خمس من الهجرة، ثم تعود إلى الرق، ويتزوجها مرة ثانية في سنة ست؟!

ويبدو لي أن الإمام البخاري أراد أن يحسم أمر هذا الخلاف فبوب في كتابه لهذه الغزوة بقوله: "باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، وهي غزوة المريسيع". وعند الطبراني من حديث سنان بن وبرة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق. قال الهيثمي: رواه الطبراني في **الأوسط** و **الكبير**، وإسناد الكبير حسن[٧٢].

* * * *

٧٠- المسعودي: **مروج الذهب**، ٥٧٥/١.

٧١- ابن حبان: **الثقات**، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٣هـ، ٢٦٣/١ و٢٨٨/١-٢٩٥.

٧٢- الهيثمي: **مجمع الزوائد**، ١٤٢/٦.